****

**الحمدُ للهِ ربِّ العالمِين، إلهِ الأولينَ والآخرِين، وقيومِ السماواتِ والأرضين، ومالكِ يومِ الدّين؛ أحمدُه سبحانَهُ جلَّ في علَاه، وأشهدُ ألَّا إلهَ إلا الله وليُ النّعم كلّها دونَ من سِوَاه، لا فَلَاح إلّا لمَن هدَاه، ولا صَلَاح إلّا لمَن عصَمَهُ من اتّبَاعِ هَوَاه؛ وأشهدُ أنّ محمداً عبدُهُ الذي ارتَضَاه، ونبيُّهُ الذي اختارَهُ واجتَبَاه؛ ورسُولُه الذي ائتَمَنَه واصطَفَاه، اسألُهُ أن يُصلِي علَيهِ وعلى آلهِ ويُسلمَ أزكَى تسلِيمٍ وصلَاة، ويَجعلَنَا من الدّاعينَ إلى نورِه وهُدَاه، ويعصَمَنا من الخُروجِ عن طَاعتِه والولوجِ في معصِيتِه، هوَ سُبحانَه وليُّ الإنعامِ بذلك والتيسيرُ لهُ دونَ مَن سِوَاه.**

**أمّا بعد : فاتّقُوا اللهَ أيّها المُسلمونَ فإنّ التّقوى هي وصيّةُ الله للأولِينَ والآخِرين( وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ).   
أيّها المسلمون، رَوَى مسلمٌ في صحِيحِهِ عن عَمرو بن عبَسَةَ السُلَمِي رضي الله عنه قال: كنتُ وَأَنَا في الجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلى ضَلالَةٍ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شيءٍ، وَهُمْ يَعْبُدُونَ الأَوْثَانَ، فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ بِمكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَاراً، فَقَعَدْتُ عَلى رَاحِلَتي، فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ، فَإِذَا رسولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم مُسْتَخْفِياً جُرَآءُ عليهِ قَوْمُهُ، فَتَلَطَّفتُ حَتَّى دَخلْتُ عَلَيهِ بِمَكَّة، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنَتَ؟ قَالَ:( أَنا نَبي) قلتُ: وما نبيّ؟ قَالَ:( أَرْسَلِني اللَّه) فقُلْتُ: وبِأَيِّ شَيءٍ أَرسلَكَ؟ قَالَ:**

**( أَرْسَلني بِصِلَةِ الأَرحامِ، وكسرِ الأَوْثان، وَأَنْ يُوَحَّدَ اللَّه لا يُشْرَكُ به شَيء) قُلْتُ: فَمنْ مَعَكَ عَلى هَذا؟ قَالَ:**

**( حرٌ وَعَبْد). قال: ومعهُ يوْمَئِذٍ أَبو بكرٍ وبلالٌ ممن آمن معه. فقُلْتُ: إِنِّي مُتَّبعُكَ، قَالَ:( إِنّك لا تَستطِيعُ ذلكَ يَوْمَكَ هَذا. أَلا تَرى حَالي وحالَ النَّاسِ؟ وَلَكِنِ ارْجعْ إِلى أَهْلِكَ فَإذا سمعْتَ بِي قَدْ ظَهَرْتُ فَأْتِني) قَالَ فَذهبْتُ إِلى أَهْلي، وَقَدِمَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم المَدينَةَ وكنتُ في أَهْلي، فَجَعَلْتُ أَتَخَبَّرُ الأَخْبَارَ، وَأَسْأَلُ النَّاسَ حينَ قَدِمَ المَدِينَةَ، حَتَّى قَدِمَ عليّ نَفرٌ مِنْ أَهْل المدينة، فقلتُ: مَا فَعَلَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي قدِم المدينةَ؟ فقالوا: النَّاسُ إِليهِ سِراعٌ، وَقَدْ أَرَادَ قَوْمُه قَتْلَهُ فَلَمْ يَستْطَيِعُوا، فَقَدِمتُ المدينَةَ فَدَخَلتُ عليهِ، فقلتُ: يَا رسولَ اللَّه، أَتَعرِفُني؟ قَالَ:( نَعم، أَنتَ الَّذي لَقيتنَي بمكةَ) قَالَ: قلتُ: بَلَى، فقلت: يَا نبيّ اللَّه أَخْبرني عمَّا عَلَّمكَ اللَّه وَأَجهَلُهُ، أَخبِرنْي عَنِ الصَّلاَةِ. قَالَ:( صَلِّ صَلاَةَ الصُّبحِ، ثُمَّ أقْصِر عَنِ الصَّلاةِ حَتَّى تطلُع الشَّمْسُ حتى ترتفع، فَإِنَّهَا تَطلُعُ حِينَ تَطلُعُ بَينَ قَرْنَي شَيطَانٍ، وَحِينئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الكفَّارُ، ثُمَّ صَلِّ فَإِنَّ الصَّلاَةَ مَشْهُودَةٌ مَحْظورةٌ. حَتَّى يستقِلَّ الظلُّ بالرُّمحِ، ثُمَّ أقْصِر عَن الصَّلاةِ، فإِنّ حينئذٍ تُسجَرُ جَهَنَّمُ، فإِذا أَقبلَ الفَيء فصَلِّ، فإِنَّ الصَّلاةَ مَشهودةٌ مَحظورَةٌ حَتَّى تُصلىَ العصرَ ثُمَّ أقْصِر عَن الصلاةِ حَتَّى تَغرُبَ الشمسُ، فإِنها تُغرُبُ بَينَ قَرني شيطانٍ، وحينئذٍ يَسْجُدُ لَهَا الكفَّارُ). قَالَ: فقلتُ: يَا نَبِيَّ اللَّه، فالوضوءُ حدثني عَنْهُ؟ قَالَ:( مَا منكُم رجُل يُقَرِّبُ وَضُوءَهُ، فيتَمَضْمضُ ويستنْشِقُ فَيَنْتَثِرُ، إِلا خَرَّتْ خطايَا وجههِ وفيهِ وخياشيمِهِ. ثم إِذا غَسَلَ وجهَهُ كما أَمَرَهُ اللَّه إِلا خَرَّتْ خَطَايَا وجهِهِ مِنْ أَطرافِ لحْيَتِهِ مَعَ الماءِ. ثُمَّ يغسِل يديهِ إِلى المِرفَقَينِ إِلا خَرَّتْ خَطَايَا يَدَيْهِ مِنْ أَنامِلِهِ مَعَ الماءِ، ثُمّ يَمْسحُ رَأْسَهُ، إِلا خَرَّتْ خَطَايَا رَأْسِهِ من أَطرافِ شَعْرهِ مَعَ الماءِ، ثُمَّ يَغْسِل قَدَمَيهِ إِلى الكَعبَيْنِ، إلا خَرت خَطَايَا رِجْلَيه مِنْ أَنَامِلِهِ مَع الماءِ، فإِن هُوَ قامَ فصلَّى، فحمِدَ اللَّه وأَثْنَى عليهِ وَمجَّدَهُ بالَّذي هُوَ لَهُ أَهل، وَفَرَّغَ قلبه للَّه إِلا انصَرَفَ مِنْ خطيئَتِهِ كَهَيْئَتِهِ يومَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ). فحدّثَ عَمرو بنُ عَبسةَ بهذا الحديثَ أَبا أُمَامَةَ صاحِبَ رسولِ اللَّه صلى الله عليه وسلم فَقَالَ لَهُ أَبُو أُمَامَة: يَا عَمْرو بن عَبَسَةَ، انظُر مَا تقولُ! في مقامٍ واحِدٍ يُعطَى هَذَا الرّجُل؟ فَقَالَ عَمرو: يَا أَبَا أُمَامةَ، لقد كَبُرَت سِنّي، ورَقَّ عَظمِي، وَاقْتَرَبَ أَجَلي، وَمَا بِي حَاجةٌ أَنْ أَكذِبَ عَلَى اللَّهِ وَلا على رَسُول اللَّهِ، لَوْ لَمْ أَسْمَعْهُ مِن رَسُول اللَّه صلى الله عليه وسلم إِلاَّ مَرّةً أَوْ مَرتين أَو ثَلاثاً، حَتَّى عَدَّ سبعَ مَراتٍ، مَا حَدَّثتُ به أَبداً؛ ولكنّي سمِعتُهُ أَكثَرَ من ذلِكَ.**

**أيّها المُسلمون:**

**حَولَ هذَا الحَدِيثِ الشّريفِ والقِصةِ الجَميلةِ وَقَفَاتٌ مهمة.  
الأولَى: أنّ فضلَ الإِسلَامِ وقُبحَ الشّركِ يَعرِفُهُ النّاسُ بفِطَرِهِم، لقَولِ عمرٍو رضي الله عنه: كنتُ وَأَنَا في الجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ النَّاسَ عَلى ضَلالَةٍ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شيءٍ، وَهُم يعبدون الأَوثَانَ. وقولُهُ: أظن بمعنَى: أعلَمُ وأتيَقَن. قال صلى الله عليه وسلم:( كُلُّ مَولَودٍ يُولَدُ على الفِطرَة فأبَوَاهُ يُهوّدَانِهِ أَو يُنصّرَانِه أُو يُمجّسانِه). وإِذَا كَان الحَالُ على ذَلِك فيَنبَغِي على المُربِّين والدُّعاةِ إلى الله أن ينبِشُوا كَوَامِن الخيرِ في قُلوبِ النّاس، وأن يَستَدعُوا خِصَالَ الإيمَانِ المَخزُونةِ في قُلُوبِ المُؤمنين، ودَوَاعِي الفطرَةِ المَخلُوقةِ في قُلوبِ بَنِي الإنسانِ عامّة؛ فَكَم من ضَالٍّ تاءِهٍ من أهلِ الإسلام يقودُهُ إلى الخَيرِ والطّاعةِ سِلكُ الحرِيرِ كمَا يُقَال. والنّاسُ معادِن خيارُهم في الإسلامِ خِيَارُهم في الجَاهلِيةِ إذا فقهوا. فلِأَهلِ الجَاهِلِيةِ خِيَارٌ واستِعدَادٌ لِقَبُولِ الحقّ.**

**الوَقفةُ الثانِية: ينبَغِي للمسلمِ أن يَحرِصَ على طَلبِ العِلمِ وعلَى البَحثِ عن أهلِه: أهلِ الهِدايةِ والخيرِ وَلَو لَزِمَ الأمرُ السّفرَ إليهِم، وأن يَتَتَبع مظانَّ الرحمَةِ وحِلَق الذّكرِ ورِياضَ الجَنَّةِ لعلَّ رَحمةً تنزِلُ فتَشمَله معهم فعِندها يَسعَدُ سعادةً لا يَشقَى بعدَها أبداً، ولهذا قال عمرٌو رضي الله عنه: فَسَمِعْتُ برَجُلٍ بِمكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَاراً، فَقَعَدْتُ عَلى رَاحِلَتي، فَقَدِمتُ عَلَيهِ. فكَانت قَدمَةً مُباركةً ورِحلَةً مَيمُونةً جعلَت عَمراً في مَصَافِّ أصحَابِ رسُولِ الله صلى الله عليه وسلم الذينَ هُم خيرُ البشَرِ بعد الأنبِيَاءِ؛ وكَانَ رضيَ الله عنهُ يفخَرُ بذِلكَ، وحُقَّ لهُ الفَخر، ويقول: كنتُ رُبُعَ الإسلام؛ فحِريٌ بالمسلمِ أن يحرِصَ على غَشَيانِ حِلَقِ الذّكر والتّعرُفِ على الصالحين. والمرءُ مع مَن أَحَب، ومن أَحبَّ قوماً حُشِرَ معهم ،وهُم القومُ لا يشقَى بهم جلِيسُهم. وأمّا الإعراضُ عن سماعِ العلمِ والتّكبرُ عن مجَالسِ الذّكر والزُّهدُ في مجالسِ الصالحينَ فعلامَةٌ على عدمِ التّوفيقِ وعلامةٌ على قِلّةِ الخيرِ في هَذا المُعرِض. وقد قال الله تعالى:( وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ).**

**أمّا الوَقفةُ الثالثة: فهِي أن زُبدَةَ الرسالةِ الإلهية والدّعوةِ النّبويِة هو: توحيدُ الله، بعبَادَتِه وحدَهُ لا شريكَ لَه، وكسرُ الأوثانِ، ومعلومٌ أنَّ من قامَ بهذا الأمرِ حقَّ القيامِ فإنَّهُ لن يسلَمَ من عداوةِ النّاسِ له وأذاهُم له؛ ذلِكُم أنَّ كسرَ الأوثانِ لا يَتمُّ إلّا بشدةِ العدَاوةِ لأهلِها، وتَجريدِ السَيفِ لذَلك، وقطعِ عوائدَ كانَ النَّاسُ عليها، وفي هَذا مِن الشِّدةِ على النّفوسِ ما فِيه، ولِهذَا عبّرَ صلى الله عليه وسلم بقولِه: وكسرِ الأوثان. ولَم يقُل: إتلافَ الأوثانِ أو نَحو ذلك من العِبارات، وهذا يدُلُّك على قُبحِ الشِّرك ووجُوبِ الحزمِ في إنكارِه. وقد كَسَّرَ أبُونَا إبراهيمُ أوثَانَ قومِهِ في أثناءِ دعَوتِه وقالت قُريشٌ في محمدٍ صلى الله عليه وسلم: إنَّهُ سفَّهَ أحلَامنَا وسَبَّ آلهتَنَا. وكسرُ الأوثانِ مِعنِوياً بالحُجَّةِ والبيانِ، والدَّعوةِ باللسانِ، وبيانِ التوحيدِ وفضلِهِ، والشِّركِ وقُبحِهِ، وتعلِيمِ النّاسِ لذلِكَ والتَّكرَارِ فيهِ: ليسِ بأقلَ أهميةً وفضلاً مِن كَسرِها حِسّياً.**

**أما الوَقفةُ الرابِعة: ففِي قولِه: فَإِذَا رسولُ اللَّه صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم مُسْتَخْفِياً جُرَآءُ عليهِ قَوْمُهُ إلى قولِه: قلتُ: منْ مَعَكَ عَلى هَذا؟ قَالَ:( حُرٌ وَعَبْد). وهوَ ما دَلَ على غُربَةِ الإسلامِ، وأنَّ أكثرَ النّاسِ مخالِفونَ له صلى الله عليه وسلم، فجَميعُ النّاسِ من علماءَ وعُبَّادٍ وملوكٍ وعامة كانُوا مُخَالفينَ لَه، ولَم يتَبِعهُ على ذلِكَ إلّا مَن ذُكِر في أوَّلِ الإسلام؛ وفي هَذا أوضَحُ دليلٍ على أنَّ الحقَّ قَد يكونُ مع أقلِّ القَليل، وأنَّ البَاطلَ قد يملَأُ الأرض. ولله دَرُّ الفُضَيلِ بن عِيَاض رحمَهُ الله حيثُ يقول: لا تَستَوحِش من الحَقِّ لقِلَّةِ السَالكِين ولا تَغتَرّ بالباطِلِ لكَثرَةِ الهالِكِين . وأحسنُ مِنهُ قولُه تعالَي:( وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ) وقولُه:( وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ). وفي الصحيحَين: أنّ بعثَ النّارِ من كلِّ ألفٍ تسعةٌ وتِسعونَ وتِسعُمائة، وفي الجنَّةٍ واحدٌ من كلِّ ألف.**

**الوقفَةُ الخامِسَة: ما كان عليهِ رسولُ** **صلى الله عليه وسلم من الفِطنَةِ وحفظِ العَهدِ، إذ عَرَف عمرو بن عبَسَة بعدَ ثلاثةَ عشَرَ عاماً حَفِلَت بالمصَائِبِ والهُمُومِ والإيذَاءِ والنَّكد، مع أنَّهُ لم يلتقِ بهِ إلا مرةً واحدةً، فلمّا اجتَمعَ بهِ في المدينةِ قال: يا رسولَ الله، تعرِفُنِي؟ قال: نعم، أنتَ الذي لَقِيتَني في مكة. وهنا مَلحَظٌ لأهلِ العِلمِ والفضلِ، وللمسلمينَ عموماً: ألَّا ينسَوا لأهلِ الفضلِ فضلَهَم، فلابُدّ أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم انتَفعَ بقَبُولِ هذا الرجلِ دعوتَهُ، وفرِحَ بذلَك وسُرَّ به، فحَفِظَ ذلك له وبَقِي شخصُه في مخَيَلَتِه، فذَكرَه بعد هذِه المدّةِ الطويلة. وقد كان صلى الله عليه وسلم يسألُ عن الأشخاصِ وهوَ لم يرَهُم، ويراسلُ الشخصياتِ البارِزةِ لدَعوتِهِم للإسلام لعِلمِه بتَأثيرِهم في أقوامِهم إذَا دَخلُوا الإسلام. ولمَّا جاءَهُ زَيدُ الخيلِ الطائِي قال له:( ما وُصِفَ لي أحدٌ في الجاهليةِ فرَأيتُهُ في الإسلامِ إلّا رأيتُه دونَ الصّفةِ غيرَك). فكان من هَديِهِ صلى الله عليه وسلم: معرفَةُ النُاسِ وأوصَافِهم ومراتِبِهِم في أقوامِهِم لمصلحةِ دعوَتِهم لا غير.**

**اللهم وَفِقنَا لاتّباعِ هَديِ نبيِّك صلى الله عليه وسلم، والاقتداءِ بسنَتِه، والسيرِ على مِنهاجِه. باركَ الله لِي ولكُم في القُرآنِ العظِيم، ونَفعنِي وإيَّاكُم بما فيهِ من الآياتِ والذّكرِ الحكيم. أقولُ قولِي هذَا واستغفرُ الله لي ولَكُم من كُلِّ ذنبٍ فاستَغفِروهُ إنَّهُ هوَ الغفورُ الرَّحيم.**